

## تقديم

يهدف هذا العدد المزدوج من مجلة إنسانيات إلى استكشاف ممارسة الجغرافيتيا، التي طالما اعتبرت خريشة بسيطة و / أو متواضعة في الفضاءات العامة في شمال إفريقيا. وعليه، ظلت هذه الممارسة السوسيو لغوية هامشية في الأدبيات العلمية المرتبطة بهذه المنطقة الجغرافية. وإذا كانت ممارسة الجغرافيتيا تشكل موضوع اهتمام علمي متزايد في فضاءات أخرى، فإنها لا تزال محلّ تعقيد وغموض في السياق الشمال إفريقي، والدليل على ذلك أنه لم يتم التطرق إليها بوصفها موضوعا للبحث، بالرغم من الإجراءات والاستراتيجيات التي تستحضرها والمضامين التي تجنّدها في الفضاء العمومي. وعليه، يطمح هذا العدد من مجلة إنسانيات إلى سدّ جزء من هذه الفجوة، وذلك من خلال السعي إلى تناول هذه الظاهرة اللغوية التي تشكل أحد التعبيرات الفعالة للتغيرات اللغوية والثقافية والسوسيومكانية في شمال إفريقيا، مع تسليط الضوء أيضا على الأبحاث المحليّة الناشئة في هذا المجال.

قد يبدو للوهلة الأولى أن دراسة هذا الموضوع على نطاق شمال إفريقيا هو خطوة طموحة من شأنها أن تتكشّف عن بعض المطبّات المنهجية والتحليلية، نظرا للغموض والتعقيد الذي يشوب هذه الممارسة الاجتماعية اللغوية، من جهة، والمجتمعات التي توظفها كوسيلة تعبير في الفضاء العام، من جهة أخرى. غير أن هذا الخيار يفرض نفسه، لا محالة، بالنظر إلى الأهمية التي تكتسبها هذه الأعمال اللغوية والتغيرات السوسيو -سياسية واللغوية والثقافية التي تنجر عنها.

من خلال عبورها للزمان والمكان، تظل الرسومات الجغرافية تشدّ أنظارنا وتساءل قناعاتنا وترجم الاحتياجات التعبيرية والوجودية المعروضة على الوسائط غير الاعتيادية، وهو ما يمنح الفضاءات العمومية بُعداً دلاليا. كما أنها تحظى بميزة مرافقة المجتمعات في تغيراتها من خلال الكشف عن دينامياتها والإشارة إلى التحديات التي تكمن وراءها. إن ديمومة هذه العلامات الكتابية وترسيخها تكتسي أهمية بالغة بالنسبة للبحث العلمي، خاصة في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية.

أصبحت الجرافيتيا وفنون الشارع تمثل اليوم تعبيرا اجتماعيا وسياسيا وفنيا في كل أركان المعمورة، لتمنح بذلك الفضاءات المأهولة مظهر أجساد موشومة، ناطقة وذات مغزى. وسواء أتلقت الأمر بالنزاعات السوسيو-سياسية، أو المنافسات الرياضية، لا سيما كرة القدم، أو التظاهرات الثقافية، أو حتى الأزمات البشرية، فجميعها يجد ملاذها في هذه الفنون .

وبالرغم من كونها تترك بصمات تضحل مع الزمن، إلا أن تأثيرها يبقى ساريا بفعل الشحنات المعنوية التي تحملها رسائلها. كما تشكل ممارسة الجرافيتيا جزءاً لا يتجزأ من الديكور الحضري ومن ديناميكيات الفضاء العمومي والذي كان يخضع في السابق لحكم الخلفيات السائدة، وهي ممارسة تشارك بشكل حاسم في التغيير الاجتماعي المحلي من خلال الكشف عنه وتجسيده.

وقد أصبحت ممارسة الجرافيتيا أكثر انتشارا في الأماكن العامة نظرا للدور الهام الذي تلعبه في التعبير وفي دعم الحركات الاجتماعية والسياسية والثقافية ومستجدات الحياة اليومية، محملة على طول مسارها بلغاتها وإشارات وخطاباتها . ينضاف إلى ذلك أن هذه الظاهرة الاجتماعية المعقدة تكشف، من خلال السرد الحضري والأدبيات التي تعرضها في الأماكن العامة، الوجه الخفي للحياة الاجتماعية الطبيعية.

لتحديد ملامح هذا النظام الكتابي والخطابي الجديد والبناء في شمال إفريقيا، تهدف إسهامات هذا العدد إلى رصد حيثيات نشأته ومساراته، وكذا تصوير آليات اشتغاله، لتحديد الرهانات التي تحكم انتشاره، بالإضافة إلى تحليل الوظائف المسندة إليه. لهذا الغرض، يسائل الباحثون في هذا العدد الفضاء العمومي والميادين المفضلة لانبثاق الجرافيتيا باعتبارها الأماكن الوحيدة التي تتجسد عبرها هذه الأخيرة والتي تكتسب من خلالها معنى محدداً. يعمل هذا المكان الطبيعي للجرافيتيا والدعائم المتعددة التي تمنحها لهذه الممارسة الكتابية، كمشهد خطابي يجمع بين الاحتجاجات والمطالبة بالحقوق والإبداع والتعبير الفردي و / أو الجماعي.

وعليه، فإن هذا العدد المزدوج من مجلة إنسانيات يفتح آفاقا للتفكير العابر للتخصصات حول سمات ووظائف هذه الظاهرة اللغوية ومساءلة تأثيراتها الخطابية

في الفضاء العمومي الشمال إفريقي. كما أنها مناسبة لمعاينة مناهج و منطق تشكيل الصور التعبيرية، وانتقاءها وتصنيفها وفك شفراتها. تبين المقاربات المنهجية الموظفة بشكل دقيق من طرف مختلف المشاركين في هذا العدد الموضوعاتي ضرورة تحديد هذه الأخيرة واستحضار المزيد من الأدوات الإجرائية التي تسمح بقراءات إستكشافية للموضوع محل الدراسة والتحليل.

من هذا المنطلق، تطرق مختلف الباحثون إلى هذه الممارسة السوسيو لغوية، التي قلما تعترف النقاشات العمومية وحتى الأكاديمية في بعض الأحيان بأهميتها، وبكونها موضوعاً سانحاً للبحث والتنقيب. تدعو المناهج المقترحة إلى تفكيك المعنى العام الذي يجعل من التعابير الجدارية تعابير هامشية، وموقعها من جديد في حيّز البحث العلمي من خلال مقاربتها بوصفها ممارسة اجتماعية معقدة يتم من خلالها الكشف عن علاقات القوة والديناميات العرقية والسوسيو لغوية الضرورية لفهم الحقل الاجتماعي الشمال إفريقي بشكل عام.

اهتم الباحثون المشاركون في هذا العدد بجوانب متعددة من ممارسة الجغرافيتيا، من ضمنها كتاب الجغرافيا والوظائف والدعائم ومواقع ترويج هذه الممارسة السوسيو لغوية، إضافة إلى الأدوات اللغوية والأيقونية التي توظفها في الأماكن العامة. كما تطرقوا إلى البعد الاحتجاجي لهذه الممارسة وإلى حملات المحو التي تتعرض لها بشكل دائم، خاصة في أوقات الأزمات، و ذلك من خلال مساءلة أبعادها التلفظية والمتلقية. وبطبيعة الحال، لا يمكن التطرق لهذه الإشكالية دون مقارنة البعد الخطابي المحض لهذه الممارسة السوسيو لغوية التي تجسد الديناميات المتعددة الأبعاد لمجتمعات شمال إفريقيا والفضاء العمومي الذي تستثمره باستمرار وبشكل واسع.

يشكل عالم الجغرافيتيا مجال بحث ثري نظراً لتواجده في مفترق الطرق بين العديد من التخصصات والتي تتراوح من الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلى العلوم السياسية مروراً بالسوسيو لسانيات وتحليل الخطاب والسيميولوجيا والجغرافيا والدراسات الثقافية والبصرية وغيرها. انطلاقاً من هذا المجال العابر للتخصصات، تطرقت مختلف الإسهامات إلى نشأة الجغرافيتيا في شمال إفريقيا وتعابيرها وأدواتها الإجرائية وخطاباتها.

وبناء على هذا الكل المتناسق يمكن الخروج بثلاث مجموعات فرعية تركز بالترتيب حول ممارسة الجرافيتيا واستخداماتها وهي: فن الخطاب وجمالي الاحتجاجات والديناميات والاسراتيجيات اللغوية والخطابية المرتبطة بالجرافيتيا.

في المحور الأول الذي يعالج ممارسات الجرافيتيا واستخداماتها، ومن خلال اعتماده على معطيات تجريبية، يعاين كريم وراس، في حي دار الحياة بوهران، الجرافيتيا بوصفها ممارسة سوسيو لغوية تشارك في تنظيم الفضاءات المأهولة. إن انتشار هذه الممارسة يتجلى في استخدامات تصف هذه الفضاءات بقدر ما تصف نفسها، حيث تعمل الجرافيتيا في هذا الحي الشعبي بوصفها نظاما كتابيا يجسد الديناميات الحضرية التي يتم من خلاله الكشف عن العلاقات الاجتماعية. يقارب الباحثان هاجر بلحميداش وكريم وراس الرسومات الجرافيتية بوصفها ممارسة اجتماعية لها استراتيجياتها ووظائفها في الفضاء العمومي بمدينة مستغانم. تترجم هذه الكتابات أيضا المطالب والإيديولوجيات، لتشكل بذلك قناة للتعبير عن العلل الاجتماعية.

في السياق ذاته، تدرس فاطمة الزهراء ساهلي دور الجرافيتيا في حملات التوعية بالسلامة الطرقية. ولهذا الغرض، اختارت دراسة الجرافيتيا الموجودة على خزانات مركبات النقل الثقيل في المغرب. يكمن الهدف من هذه الدراسة في مساءلة تمثّلات مستخدمي الطريق لهذا الإجراء اللغوي في ضوء مأسسة الجرافيتيا.

في المحور الثاني المخصص للطابع البلاغي / الجمالي الاحتجاجي للجرافيتيا، يقارب محمد زكريا علي بن شريف هذه الأخيرة بوصفها صوتا للحراك الجزائري. يستكشف المؤلف القوى السوسيو لغوية والسوسيو خطابية التي ترسم الحراك على الجدران والتي تتجلى بدورها بوصفها سلطة مضادة في مواجهة مختلف أشكال الضغوطات السياسية في السياق الجزائري.

يتعرض إنريكي كلوس إلى الجرافيتيا التي ظهرت في القاهرة إبان "ثورة 25 جانفي 2011" معتمدا في ذلك على فرضية الانطلاق ذات الصبغة الإبيستيمولوجية وهو تحليل يرتكز على مفهوم الانتباز الفضائي (هيتروطوبيا) لفوكو والذي يسمح للكاتب بإعادة تحديد الطابع التخريبي للجرافيتيا وإعادة بناءها في مواضيع سياسية أصلية،

ليس من خلال الإحاطة بها انطلاقا من الخطابات التي تحملها، وإنما من خلال استمرارية الجهاز الذي تستند عليه.

من منطلق المنظور الاحتجاجي أيضا، يتناول صلاح الدين بالعربي موضوع جغرافيتيا الحراك بوصفها وسيلة لإنتاج المعنى وأداة للتعبير عن الاحتجاجات، والمطالب والتنديدات. وهو يشرح في مقاله كيف استفاد حراك الريف من الرسومات الجغرافية في التعريف بمطالبه وأثرها على المتلقين.

في المحور الثالث والأخير والذي يتطرق إلى العلاقات الموجودة بين الرسومات الجغرافية واللغات، والهويات والفضاءات الخطابية، يناقش رضا سبيح الديناميات السوسيو لغوية والخطابية التي تتجلى من خلال الرسومات الجغرافية المتواجدة في القصبة بمدينة الجزائر. يكمن هدف هذه الدراسة في تصنيف الرسومات الجغرافية في القصبة، وشرح صبغتها السيميولوجية وفك شفرة مضامينها الخطابية، خاصة في علاقتها مع الفضاء المدروس. في السياق ذاته، تقارب وفاء بجاوي الجغرافيتيا اللسانية والأيقونية بوصفها عنصرا مشاركا في التعبير عن هوية حضرية جماعية محمّلة بالعواطف والمطالب. تناولت هذه الدراسة الجغرافيتيا في ثلاثة أحياء من مدينة الجزائر، والتي تتجاوز فيها اللغات وتتعايش فيها استراتيجيات خطابية متنوّعة.

من جهته، يقترح ناصر سي حمدي قراءة للفضاء الحضري بتيزي وزو في أبعاده السوسيولوجية، الهويةية، الثقافية والسياسية، متطرقا إلى الجغرافيتيا بوصفها ظاهرة تملك للفضاء. انطلاقا من ذلك، يحلل الباحث التعقيدات التي تشوب الممارسات الاجتماعية والعلاقات التي تنشأ وتتفاعل في هذا الفضاء.

بعيدا عن الفضاءات المفتوحة، يركز بوعلام باي في مقاله على جغرافيتيا المجموعات الطلابية بجامعة تلمسان والتي تعمل كمؤشرات عن جملة المشاكل التي تعيشها هذه المجموعة، ويعتمد في دراسته على معطيات ميدانية تبين أن الجغرافيتيا الطلابية هي إجراء لغوي يتميز بمضامين وأهداف خطابية متعددة و مختلفة.

بالإضافة إلى هذه الإسهامات الثرية، يأتي مسار بحث ببيير بارتونشيبي لتعزز هذا العدد من مجلة إنسانيات من خلال وضعه لحوصلة بحوثه حول مشهد الجغرافيتيا في كورسيكا. اهتمام الباحث بهذا الموضوع يعود إلى سنوات التسعينات، حيث انصب

على دراسة معجم ومناهج الجرافيتيا الخاصة بجهة التحرير الوطني وكذلك المنظمة السرية المسلحة وتأثيراتها الدائمة على المشهد الجرافيتي الكورسيكي. تترجم الأصول المغربية للجرافيتيا في كورسيا عمق التبادلات الموجودة بين ضفتي المتوسطي. يتطرق المؤلف أيضا إلى الفئات الفنية للجرافيتيا، وسيرة تصنيف الرسومات ضمن الموروث الكورسيكي، وكذلك تطور تمثلات فن الشارع في الصحافة الكورسيكية. بالمقابل، يتضمن هذا العدد المزدوج من مجلة إنسانيات عروضاً وقراءات لكتب، وكذلك أخباراً علمية.

كريم وراس

ترجمة صورية مولوجي